

سُقُوطُ مَفْهُومِ الْقَوْمِيَّةِ الْوَافِدِ

أنور البجندى



دار الافتخار

على طريق الأصالة الإسلامية

١٦

سُقُوطُ
مَفْهُومِ الْقَوْمِيَّةِ الْوَافِدَةِ

بقلم

أنور البجندى

دار الأنصار

مكتبة - طباعة - نشر - توزيع
الطبعة الأولى لسنة ١٤٠٩ هـ - ١٩٨٩ م
٩٢١٩٨٩

سقوط مفهوم القومية الولادة

كشفت الأبحاث الجادة التي قام بها باحثون عابدون ، أن نظرية القومية العربية التي طرحت في أفق الفكر الإسلامي ، كانت بعثة مؤامرة استهدفت تغريب الوحدة الإسلامية ، السياسية والإجتماعية والفكرية ، وأنها هي أخطر المحاولات لنفريق عقد الأمة الإسلامية ، التي كانت متربطة تحت كلمة التوحيد . وقد جاءت هذه الأبحاث بعد ركام ضخم من السكتابات والدراسات ، التي قدمت منذ الثلائينات من هذا القرن ، بهدف تدمير وحدةعروبة والإسلام الجامحة ، التي كان يصدر عنها رجال العمل السياسي في البلاد العربية .

كانت الدعوة إلى القومية ، بعثة دعوه إلى الإقليمية أولاً ، في الأقطار التي لها تاريخ قديم سابق للإسلام ، وكانت من ناحية أخرى كمحاولة لفصم عرىعروبة والإسلام ، فقد استعملت كلة القومية بمفهوم الإقليمية في مصر باسم الفرعونية ، وفي

سوريا باسم الفينيقية ، وفي العراق باسم الاشورية والبابلية ، وفي المغرب باسم البربرية .

وتركزت حول هذه الدعوى دراسات مضادة ، قام بها مستشرقون يتبعون وزارات الاستعمار في فرنسا وإنجلترا مستدرين لإحياء هذه التحليل التي قضى عليها الإسلام ، حين جاء قاطنة آنذاك الإرتباط القديم الذي يفرق بين اجتماع أمة الإسلام وبين ارتباطها وتاريخها ولغتها القدية .

الإبعاد والنفسيرات :

وحتى نعرف أبعاد فضيحة القوميات وتفسيراتها الوافية ، يجب أن تراجع مصر بما تردد على ألسنة الكثيرون من دعايفي السياسة في أوائل هذا القرن ، يلخصه الدكتور « صموئيل ذويرو » كبير المشرعين البحرينيين في قوله : « إن أول ما يجب عمله للقضاء على الإسلام هو إيماد القوميات » .

ولقد كان أول عمل بدأته بالإراساليات التبشيرية في بيروت هو الدعوة إلى العربة بهدف ترقيق وحدة المغرب والترك ،

القائمة تحت لواء الخلافة العثمانية ،

وكان حلة هذه الدعوة هي مسيحيو لبنان ، الذين كانوا يطالبون بكيان مستقل داخل الدولة العثمانية ، ثم ظهرت الدعوة إلى القومية التركية ، تحت اسم الطورانية عن طريق حزب الاتحاد والترقي ، بهدف الخروج توكيماً من طابعها الإسلامي ، فلما نجح حزب الاتحاد والترقي في الوصول إلى الحكم أخذ يعمل على ترسيخ الشعب وتحويل المحاكم والمدارس ودور الحكم إلى اللغة التركية والقضاء على اللغة العربية ، ومن هنا بدأ العرب في للملائكة العثمانية في النطاع عن أنفسهم فذهبوا الدعوة إلى المروبة ، فلما سقطت الدولة العثمانية اتّخذ العرب من الترابط تحت اسم المروبة أسلوباً من أساليب مقاومة المفوذ الأجنبي .

تفسير غرب:

غير أن الاستهار والمفوذ الأجنبي ، عبد إلى طرح مفهوم المروبة مستمد من مفهوم القوميات الغربية أنسنثري أمره وحاول أن يتعنى على ترابط المروبة والإسلام ، ولم يقف الأمر عند هذا الحد ، فـان الفكر الوافد حاول أن يطرح هدة نظريات ليحقق وحدة الفكر

الإسلامي ، ويحول به دون الإلقاء في كيان جامع موحد ، فكانت هناك الدعوة إلى القومية الوطنية ، وتمثلت في الدعوة إلى القومية اللبنانيّة والقومية السوريّة وال القوميّة المصريّة ، وكانت هناك دعوة القوميّة المستمدّة من مفهوم النّظرية الألمانيّة أو النّظرية الفرنسيّة ، وإنحدراها تعمّد الله أساً لها ، وتمتدّ الأخرى مفهوم المشينة .

ولم تسكن المدّهوة إلى القوميّة الوطنيّة في حقيقتها إلا دعوة إلى الإقليميّة في عواونة لامّاطه هذه الإقليميّات طابع القوميات .

التحرّيف:

ثم لما بُرِزَ طابع العروبة ، الذي كان هو مطلبي سوريا والعراق والمحباز في مواجهة الطورانيّة أولاً ، ثم في وجه الاحتلال الفرنسي لسوريا ولبنان ثانياً ، كوقف مفروض لا يحيد عنه هنالك راغبٌ في التغيير أن فكرة العروبة بما هبّ لها الإسلامي التي أخذت تزدهر ، بثابة خطر جديده دليلاً على ما أخذت تتدخل فيها لتعريّفها وإفسادها ، وذالك بعد أن فشلت دعوة الإقليميّات بذلك فقد عمدت إلى طرح نظرية القوميّة العربيّة وحشدت لها

حشو دأ ضيحة ، بهدف زعزعة المفهومات الأصلية ، وتمرير
العروبة من كل مفاهيمها المرتبطة بالإسلام سواء على صعيد السياسة
والنوابط والافتتاح بين الأمم الإسلامية ذات التاريخ والثقافة
والعقيدة الواحدة ، والتي تجمعت منذ خمسة عشر قرناً أرضية ثابتة
ورصيد ضخم .

ماذا يريدون ؟ :

كانت الظريقة الغربية في القومية ت يريد أن تحمل معها ثلاثة
محاذير خطيرة :

أولاً : طابع الاستعلاء الحذى للفارق في مواجهة الأمم
الإسلامية .

ثانياً : طابع الانزوال الكامل عن التاريخ والتراكم
والمفهومات الإسلامية .

ثالثاً : خلق وجود معاصر منفصل تماماً عن الإسلام وعن
العالم الإسلامي متصل بالغرب ، مذدهم في قسيمه وقيمه
وطوابعه .

وماذا غاب عنهم :

وقد غاب من الذين طرحوا النظرية الغربية في القومية ، أن هناك عاملات (عواملات) لا سبيل إلى تجاهلها أو إغفاله من أي نظرية علمية ذلك هو الطابع الفكري العميق الذي صاغه الإسلام للأشكال العربية ، في أولى مراحل وجود العرب كامة ، بعد أن كانوا بمجموعة من القبائل المتصارعة ، وأن هذا الطابع قد أقام حدأً فاصلاً عيناً (فكرياً وسياسياً واجتماعياً) بين ماضي العرب والآخرين الشاميين والعرب والمغاربة جيماً ، وكل من ماض في هذا العالم الممتد ، الذي اسيطر عليه الإسلام وشكله الفكر الإسلامي ، وخاصة تلك المقطفه التي تعرّبت وأصبحت تسمى بـ (العروبة) ، وأنه لا سبيل إلى إعادة هذه الأمة إلى ماضيها القديم ، بعد أن نقلها الإسلام ، تلك النقلة الواسعة من الأساطير والوثنيات والمعصيات والصراع الفكري والفراغ الاجتماعي ، إلى ذلك الطابع المتكامل من التوحيد والعدل والحق والمقومات الاجتماعية والسياسية والاقتصادية والقانونية الواضحة في ذلك النظام المحكم الذي نزل به القرآن ورفع لواءه الإسلام .

في عام ١٩٤٠ ذكر بياً بذات عملية طرح النظرية الفنية في القوميات وظهرت أفلام تتحدث عن فلسفة القوميات، وتشكلت هذه الفلسفة على هيئة المؤسسات وأحزاب ومدارس فكرية، وبدأت نقاوة انطلاقها من لبنان ومن خلال خريجي معاهد الدراسات، والماهدين من بعثات تعليمية أجنبية، واتخذن بعضهم الأسلوب المجنح الحالم الصوفي، الذي يحاول أن يعطي الكلمة القومية العربية مفهوم العقيدة الدينية، ويروج لها في إطار من المزامير والموسيقى والأناشيد والتراتيل، على نحو يؤثر في نفوس الشباب الطامح المتوجهة إلى مثل أعلى وفكرة ومنهج حياة.

وقد شاء أصحاب الدعوة، أن يرجعوا التاريخ المكتوب الذي عاشته العرب في كف الاسلام، أن يرجعوا الفهقرى من جديد، ليدخلوا فيه الكلمة القومية التي لم يكن يعرفها، والتي لم تجر على الانسنة والأفلام الا في أوائل هذا القرن الميلادى، والتي يندر أن يوجد انص مكتوب لاديب أو مفكراً أو شاعر ينحدر من كلمة (قويم) شعاراً له أو منطبقاً في قصيدة أو مقال أو كتاب.

ذلك أن أصحاب هذه الدعوة لم يكتفوا أن يقولوا كلامهم
اليوم ، ولنكتفهم حاروا أن يقيموا لها تارباً مخاطر بلا ميد المدح ،
يسبق ظهور الإسلام وبهذا يمده ، ولا شك أن تلك المحاولة
كانت باطلة وذاتفة ، ذلك لأنهم لم يكن هناك إلا تاريخ واحد ،
هو تاريخ الأمة الإسلامية ، وللعرب جزء منه ، ولم يكن هناك
ما يفرق بين العرب وال المسلمين خلال ذات التاريخ الطويل ، الذي
كان العرب والترك والفرس والبنود فيه كلها سكاماً .

كذلك فقد كان هدف دعاء القومية أن يفصلوا الله بـ «عن الفكرة الإسلامية»، وعن الامتداد الإسلامي، وأن يختلفوا كياناً هريراً جاماً لما يعود بالعرب إلى كنفهان وعدنان وإرم، وإحياء هذا التراث القديم، بعد أن سيطر الفكر الإسلامي أربعة عشر

قرنا كاملة على هذا العالم الواسع ، واستواع في أعمق كل فكرة
صائبة ونظرة صالحة من ذلك الفرات النديم .

كيف انكشف المزاد؟

وإذا كانت بعض الظروف قد أنسحت المجال لطرح النظرية
الغوفة الوافدة علينا ، فإنها لم تلمس أن تكشف فسادها وفرايتها
على الروح الإسلامية وأمها ليست منبعثة من وجودنا ، ولنست
تمثل فدرنا أو كياننا أو جوهر قيمنا .

إن أخطر ما وقع فيه هؤلاء الدعاة جميعا ، أنهم صدرروا عن
مفهوم وافق تحشكلا في إطار المجتمع الغربي ، وواجه المسيحية
الغربية ، وفاتهما اختلاف الملة بين العرب والمسلمين ، وبين
مفهوم الإسلام كعقيدة تختلف عن المسيحية ، في أنها ليست
نظريه لا هوئية أو علاقة بين الله تبارك وتعالى والفرد ، ولاصلة
لها بآنظام المجتمع ، كما فاتهم أن الإسلام عقيدة ومنهج حياة .

ولأن القائمين بالدعوة كانوا غربى الفكر . فقد فاتهم فهم
حقيقة الإسلام اجامعة بين الدين والدولة ، وبين الدين والمجتمع ،
 وأنه حضارة رثافة ومنهج حياة .

وباجلته فإن دعاء القومية الوافدة قد جاتبوا الأصالة والفهم العميق الإسلام والمعرفة، وكانت محاولتهم في فرض مفهوم غريب دخيل وآخذ، محاولة مهدرة، شأنها شأن المحاولات التي فرضت على الفكر الإسلامي من قبل ومن بعد، وقد أعلنت جميعها فشلها الكامل، كالذين يقرأون العقيدة والاشتراكيّة والوجع وديبة وغيرها.

و شہر معاہد :

ويصدق في هذا دارسان غريبان أو لهما : «أرنولد تويني»، الذي يقول في كتابه : «المسيحية بين أديان العالم»، أن الشيوعية والقومية هما العدوين للأديان، إذ هما شكلان مختلفان لموضوع فاسد، إلا وهو عبادة الإنسان لنفسه.

ويقول « الفريد كانتول سميث » : « إن القومية المجردة ليست هي القاعدة الملاعنة للنحو وض والنهاه وما لم يكن الفعل الا في إسلاميا على وجه من الوجه فان تتم الاجمود ، وتاريخ الشرق الاذني الحديث يدل على ذلك » .

بل إن مستشارا آخر ينصح قومه بالتخلي عن طرح هذه

النظيرية لفسادها ذلك هو البرت حوراني ، الذى يقول :
« ليست القومية نظاماً فــكريياً مــكــالــلا ، ولــكــنــها نقطــةــ بــداـيــةــ
تنظيم المجتمعات المتــحدــةــ ، فــانــ الشــرقــ العــرــبــ قدــ وــصــلــ إــلــىــ مرــحــلــةــ
ما بــعــدــ القــوــمــيــةــ » .

القومية العربية و هدفها :

وهــذــ حــقــيقــةــ فــإــنــ الســنــوــاتــ الــأــخــيــرــةــ قدــ كــشــفــتــ عــنــ فــســادــ
منــطــلــقــ القــوــمــيــةــ ، وــعــجــزــهــاـ عنــ أــنــ تــحــقــقــ شــيــئــاـ ، بلــ أــنــاـ قدــ ســجــلــتــ
عــلــىــ لــفــســمــاـ ذــلــكــ الــأــثــرــ الســىــ العــمــيــقــ ، الــذــىــ أــخــرــ ثــمــ الوــحــدــةــ
الــإــســلــامــيــةــ ، الــىــ هــىــ الطــرــقــ الــأــصــيــلــ لــلــاـتــقــاءــ الجــامــعــ ، تــحــتــ
لــوــاـءــ الــعــقــيــدــةــ وــالــمــنــجــ ، وــقــدــ تــبــيــنــ أــنــ الــقــوــمــيــةــ أــبــدــيــوــلــوــجــيــةــ غــرــبــيــةــ
كــانــتــ فــيــ اــبــمــاـهــاـ بــالــغــرــبــ تــســتــهــدــفــ تــحــطــيمــ الوــحــدــةــ الــمــســيــحــيــةــ
الــجــامــعــةــ ، الــذــىــ كــانــتــ أــشــكــلــ أــطــارــاـ عــامــاـ فــيــ الــغــرــبــ ضــدــ الــيــهــرــدــيــةــ ،
الــذــىــ كــانــتــ قــعــيــشــ فــأــحــيــاـ الــجــيــتوــ دــوــنــ أــنــ تــحــتــاطــ بالــحــيــاـةــ الــاجــتمــاعــيــةــ
الــغــرــبــيــةــ ، وــقــدــ رــأـتــ الدــوــائــرــ الــأــجــتــمــعــيــةــ الــذــىــ طــرــحــهــاـ فــيــ أــفــقــ الــعــالــمــ
الــإــســلــامــىــ أــنــهــاـ يــكــنــ أــنــ تــمــزــقــ وــحــدــةــ الــعــالــمــ الــإــســلــامــىــ .

ولــقــدــ كــانــتــ الــقــوــمــيــةــ الــعــلــوــرــانــيــةــ ، قــوــمــيــةــ لــاـ دــيــنــيــةــ ســعــلــ لــوــاـنــاـ

ضياء كوك ألب وأحد أخادف ويوسف أشغورا، وكانت تدعوه
إلى أبجد طوران، كما ظهرت القومية الفارسية، لتنظم أمجاد
فارس قبل الإسلام والدير على خط كورش «كورش»، أما
القومية للمربيبة فقد قادها لورنس همبل الخـ أبوات البريطانية
والصهيونية مما، وأصلتها إلى مجموعة من دعاء التقرب واللاميد
الاتحاد والترقى العرب.

هوية دعاء القوميات :

وكان كتابها ودعائهما يحملون العداء بكل ماهو إسلامي.
وقد اختلفوا في كل شيء، واتفقوا على شيء واحد هو رفض
الإسلام، عقيدة وتأريخنا، وحضارة، وأعلنوا عداوتهم للتراث
والأمجاد التاريخية والفصحي، وبين أعلنوا أن مقومات القومية
هي اللغة والتاريخ فاتهم أن اللغة هي الفكر والمعرفة، وأن التاريخ
لا يفصل بين العروبة والإسلام وأن الإسلام - سيئة ووطء بكل
معنى الكلمة لها ركائزها من اللغة والمشاعر المشتركة ووحدة
الهدف .

ولأن الإسلام هو الذي حمى الوطن العربي من الصليبيين ،

بعد أن أقاموا أربع إمارات صليبية لم يحل ساحل الشام ، بلاد
صلاح الدين المسلم السكري ليشنل العروبة من وهدتها ، وقد
أكمل هذا الدور قطز وبيرس ، وما من المسلمين لا العرب ،
لقد جاء بعد صلاح الدين السكري ، الماليك الذين حوا الأرض
العربية من التتار وقمنوا على بقية معاقل الصليبيين .

وفي المزار التي وصفها الفرسان بأنها فراسا الجنوبيّة ،
كان الإسلام ، ولن يستند اللغة العربية هي التي حتى الأمة مائة
وثلاثين عاماً بعد أن تحطمت اللغة والثقافة ، ولو لا القرآن
ما كانت هناك قوة في الأرض تستطيع أن تعمي اللغة العربية
في الأرض المغاربية بعد أن ظلت تتعرض لحرب منظمة مدى
قرن وربع قرن من الزمان . ولا ريب أنه حيث يسقط الإسلام
يسقط العرب ، وأن العرب بغير الإسلام لا شيء ، فهو الذي
شكلهم وأفاسس كلامه ، وهو الذي رفع أعلامهم على مشارف
القارات الثلاث .

طبيعة التكوين الأصيل :

ولا ريب أن نظام الإسلام قد كون رجالاً عزيزاً وعجماء

ليكونا نفسيأً أو عقليأً فصدروا عن حرکتهم التاريخية ، هن هذه
وسته ، وحيث لم ينافسوا الإلـام المقومات الجنسية ، وترك لـكل
أمة شخصيتها النابعة من التطورات المـختلفة عبر القرون ، بل اقـد
حافظ على السـيـان الخامـس لـكل بنـية .

التفسير القومي تفسير جزئي :

ولا ريب أن التفسير القومي جزء وناقص ، ومناقض
للحقيقة التاريخية الجامدة ، ومناقض في نفس الوقت لعموم
الرسالة لـأن لا تـعترـف بالـحرـکـات الـقومـية الـضـيقـة الـآـفـقـة ، ولا رـيب
أن الإلـام يـعـكـنه أـن يـظـال حـيـا بـدون الـعـروـبة وـلـكن الـعـروـبة
وـحدـها عـاجـزة عـن إـثـابـات وـجـودـها ، وـمـنـهـذا أـن الإلـام قـوـة
داـفـعـة لـالـعـروـبة وـلـيـس قـطـاعـا مـنـهـا ، بل هو سـبـب قـوـتها وـعـاسـكـها
وـبـقـائـها ، كـاـنـهـ لـيـس حـرـبا عـلـيـها . وـأـنـأـي مـحاـولـة لـالـفـصـل بـيـنـهـما ، يـسـىـءـ
إـلـى الـعـروـبة أـكـثـرـ مـا يـسـىـءـ إـلـى إـلـامـ .

منزل الوحي :

وـقـد شـرـف اللهـ تـبارـك وـتعـالـى أـرـضـ الـعـروـبة فـجـعلـها مـزاـ

لو حيه وقرآنها من بنا لخاتم رسله ، وقد امتدت العروبة بالإسلام
امتداجاً قوياً ، جعل غير العرب ينظرون على أنها شئ واحداً
وقد وقف القرآن الكريم سداً منيعاً لخاتمة اللغة العربية من الذوبان
والانصهار في اللهجات .

ولقد كانت كل مشروعات تبسيط اللغة العربية تهدف إلى
القضاء على القرآن ، بينما وقف القرآن سداً منيعاً متصيناً على
التحريف والتصحيف .

من المجاهدين الأول:

وفي مراجعة مع السيد د. محب الدين الخطيب ، رحمه الله ،
حول مفهوم العروبة أبان حركتهم بعد الحرب الأولى قال :

إن مفهوم العروبة ومفهوم الإسلام لم يكونا من صلين وكانت
العروبة تمنى لارتباطها بالإسلام ولا تنفك عنه ، ومفهوم الإسلام
أنه قام ويقوم بالأمة العربية الأولى التي لم تسكن منفصلة عن أرضية
ال الفكر الإسلامي ، وإنما كانت حلقة من حلقاته ، وإذا كان دعاء
ال فكر الإسلامي قد عملوا في جانب العروبة في هذه الفترة ، أى

بعد الحرب العالمية الأولى ، فعن هذا أنما قد أصبحت هي القلعة التي جرى من خلالها تعلم لمقاومة الاستعمار والغزو الغربي وحركة التحرير والغزو النفسي .

وقد حرص المسلمون على الربط بين مصر العربية ومصر الإسلامية ، وكانت لهم وذلك بظريه دفينة وضحة أما الفرعونية والفينيقية والبربرية ، فقد كشف الآيات من بعد عن أنها فروع من العروة وأنه لا تضارب بينها ، ففي موجات خرجت من الجزيرة العربية . واستقرت هنا وهناك على طول الأرض العربية وعرضها ، وأن محولة الاستعمار في استخدامها للنفسي كانت باطلة .

تجربة صيرة:

ويصور هذه الرحلة الاستاذ « إدريس الكناف » في بحث مطول فيه قوله : « أنها كانت تجربة مرة عاشها العرب منذ الحرب العالمية الأولى ، وتمثلت في اتجاه كثير من الوعاء والاحزاب ، الدواعم واسباب مختلفة لخلق إطار موحد للعمل يكون أساساً للهبة العربية ، ويجمع شعوب الأمة العربية ، وقد قبل العرب هذا

الاطار باعتبار انه مجرد خطاب خارجي لمحتوى اساسي هو الاسلام، ولكن هذا الاتجاه تطور فيما بعد ليجعل «الخطاب» على محمل المحتوى ، وبذا الناس يبحثون عن فلسفة خاصة وهكذا أصبحنا نحن الذين أيدنا (القومية العربية الاطار) نراها تحول إلى المذهب ورغم أنها لم تتمتع بالتأييد لزمن أطول ، ولو أنها استطاعت أن تتحقق أهل قدر من النجاح لأنها اصالة بناءها ، وأنها قامت على ارض صلبة لا على كثبان من الرمال ، والى عجز مذهب القومية ان ينخلق في نفوس اصحابه شيئاً من هذا الاعيان او قليلاً من التضحية .

بعد أن دفعنا الثمن:

هذه الوحدة العربية لم تتحقق حتى بين دعاتها وأنصارها الذين اتخذوها شعارا لهم ، ولم تحقق شيئاً للعرب المؤمنين بها ، ومعنى هذا أن تجربة هذا المذهب تكون قد استنفذت غرضها ، بعد أن أدى العرب من فشلها غالباً ، ويفتح الباب أمام الإسلام من جديد بوجوه جديدة من العرب أنفسهم ، وبهذا العودة إلى تحقيق وحدتهم ولكن باسم المقيدة التي وحدتهم لأول مرة ، وباسم المقيدة سيواصلون معركتهم على واجهتين ،

ضد الفحاف داخل الوطن الأكبر ، ضد الاستعمار والصهيونية في كل مكان في الأرض وعندئذ يكون عصر اليقظة الإسلامية قد انتهى ، ويبدأ بفر الهمزة وشرق شمس الإسلام من جديد على العالم .

وقال : «إن هناك مراحل قطعها الاستعمار والتغريب في تهويق الإنقال من اليقظة إلى التمثة : منها الأقلية والقومية والمماركسي ، وللقانون الوضعى والنظام السياسي الغربى والتعليم بنماوج الغرب العلمانية ، ومحاولات تخذيل الفصحى لغة القرآن» .

سقطات المحاولة وسقوط البديل :

ولقد سقطت تلك المحاولات ، التي كانت تستمدف أن تجعل القومية بديلا عن دين الله ورسالة محمد ﷺ لاها أرادت أن تفرغ المروبة من محتواها الإسلامي ، أمة وعقيدة وأرادت أن تقيم قومية حاقدة منفصلة مغافلة عن أرض الإسلام كما هي مغافلة عن قيم الإسلام نفسه ، فيها المفروم المادى الوثنى ، وفيها أحقاد الأمم ، حيث أن مفهوم الإسلام لا يفصل بين الدين والدولة ، ولا يعرف حكمومة إلهية ولا يعرف تفرقة بين الله س على أساس من المنصر والعرق .

وبالجملة فإن الفكرة القومية كانت تياراً من تيارات النزء الثقافي، استحدث أساساً يبيه بعد أن سقطت دعوى الوطنية والإقليميات، وكانت مهمتها تفريغ الفرضية السياسية والاجتماعية بوجه عام من المحتوى الإسلامي، وأحذل فلسفة أخرى وعقيدة أخرى محل عقيده، واستبدال رابطة أخرى برابطه، امزل الشعوب الإسلامية بعضها عن بعض عرلا نهائياً، بحيث تسكون صلة بعضها ببعض كصاتماً بأى شعب من الشعوب الأخرى التي تدين بالرومانية والماركسية وبذلك تنسف الجسور التي تصل بين الشعوب الإسلامية.

وأقدم كان طرح فــكرة القومية الــمربيــة عــامل التــمهيد لــطرح فــكرة القومية الصــمــيونــية وــمجــلاــاظــه وــردــعــوة إــلــىــالــقومــيــةــ الــكــرــديــةــ، وــغــيرــهــ منــ قــومــيــاتــ، وــكــانــ أــخــطــرــ ماــ هــنــاــ لــكــيــ حــاــولــةــ دــعــاهــةــ القــومــيــةــ إــلــىــإــيمــادــ مــنــهــ اــشــبــهــ بــالــدــينــ يــحــلــ محلــ إــلــاســلــامــ، وــنــلــلــاــ دــعــوتــهــ إــلــىــ

إــيمــادــ ظــامــ نــظــريــ شاملــ يــســتوــعــبــ الحــيــاةــ الإــلــاســانــيــةــ بــأــكــلــهــاــ، فــلــاــ يــخــرــجــ عــنــ دــارــتــهــ قــطــاعــ ماــ مــنــ قــطــاعــاتــ الــوــجــودــ الــبــشــرــيــ، وــصــيــاغــةــ عــقــيــدةــ قــومــيــةــ كــلــيــةــ تــضــاهــيــ فــيــ كــلــيــتــهــاــ وــشــوــلــهــ الــفــكــرــةــ

الشيوعية، أى أن المَهْرَفَ الحَقِيقِيُّ هو إِحْلَالُ الْفَوْمِيَّةِ بِحَلِّ الْإِسْلَامِ
وأن يصبح العرب بين خيارين : ما الشيوعية أو الدويمية المادوية
الوثنية ، وكأنما أبعد الحق الأصيل وهو الإسلام الذي يحمل
المهْرَفَ الأصيل ، والذى يقاوم زيف الشيوعية والذى تميز الفويمية
بِمَا أُوتِيتَ مِنْ قُوَّةٍ أَنْ تَحْقِّقَهُ وَهِيَ رَكِيْبٌ مُفْتَأِلٌ مُعَارِضٌ لِلْمُطْرَأةِ
الإنسانية ، بجاف لطبيعة الحياة وقد سموا هذا الخلط الراهن
(عقيدة فويمية) .

والسؤال الآن :

هل استطاعت المِسْكَرَةُ الْقَوْمِيَّةُ الْوَافِدَةُ أَنْ تَحْتَوِيْ مَفْهُومَ
العروبة والإسلام ؟ ! والواقع أن مضمون الفكرَةِ الْأَوْمِيَّةِ عند
أمم الغرب كانت على الدوام مُغَفَّلةً بـ فَكْرِ الْتَّفْوِيقِ الشَّعْبِيِّ وـ اسْتِقْارِ
الْأَمْمِ الْأُخْرَى ، وَهُوَ مَمْنُى لَا يَقْرَئُهُ أَيْ مُسْلِمٌ أَوْ يَرْصَادُهُ ، كَذَلِكَ
فَقَدْ عَارَضَتْ لِلْفَكْرَةِ الْقَوْمِيَّةِ الْوَافِدَةِ مَفْهُومَ الإِسْلَامِ ، وَاعْتَبَرَهُ
دِينًا لا هُوتِيَا — وَهُوَ لَيْسَ كَذَلِكَ — بَلْ هُوَ مَهْرَفٌ حَيَاةٌ وَنَظَامٌ
مُجَمَّعٌ ، وَأَفَدَ كَشْفَتِ الدراساتُ عنْ أَنْ نَظَرَتِ الْقَوْمِيَّةِ الغَرْبِيَّةِ
مِنْ دُعْوَةِ عَنْصُرِيَّةٍ تَسْهِلُ فَقْطَ الْمُرْوَابِطِ وَالصَّلَاتِ الْجَامِعَةِ بَيْنِ

ال المسلمين ، ونفريق الأمة الإسلامية إلى كيافات فصلًا عن عالمهم في عزل العرب عن التاريخ الإ - لاي يطولاته وموافقه ، وحصرها في التاريخ الاقليمي ، وكذلك عزل الأدب العربي الحديث عن الأدب الإسلامي ، وفرض مناهج التفكير الغربي في السياسة والاقتصاد والقانون والتربية . وهذه كما هو الحال تستهدف تفريغ غرب من إسلامهم ، ولقد سقطت هذه المحاولات سقوطًا نامًا ، وتبه العرب إلى أهداف المزامنة ، ويكميمون أن مفكروا الغرب قد كشفوا هدفها وزييف وجهتها .

والمعرف عند ما ظهرت هذه الدعوة عارضها جماعة من الفكريين المسلمين يومنا ، بدعة ، ضدادة تحت شعار الجامعه الإسلامية باركها وأيدوها السلطان عبد الحميد ، المهزى عليه ، رحمه الله ، وكان من دعاة هذه الفكرة الإمام محمد عبد الله رحمه الله .

وسقطت نظرية ساطع المصري :

حدثني الدكتور مختار الوكيز مدير مكتبة الجامعة العربية في جيفيف ، وهو رجل صادق مؤمن أنه في خلل عمله زار الأستاذ ساطع المصري سفيرًا ورأى السيد عبد الفتاح حسن السفير

المصرى دعوه إلى طمام الفداء فلما قدم مع الدكتور الوكيل حياة
السفير المصرى فقال :

«مرحباً بالمناضل الكبير في خدمة العربوبة والاسلام» وقد
حجب الرجلان من ساطع المصرى الذى رد في عزف وحدة :
«عرب نعم .. إسلام لا .. أنا لا ييك ، أنا لا ييك ..»
وكلمة «لا ييك» تعنى أن صاحبها هلىاني أو لا ديني .

ماتزال ندوة الاعتصام توكرز على تاريخ الاسلام والعرب
المماصر ، وعلى الاعلام البارزين : سعد زغلول ، اتفاق السيد ،
ساطع المصرى اخ .. وقد أحرز ساطع المصرى شهرة وافرة
في سنوات ما بعد الحرب العالمية الثانية باعتباره «فيلسوف القومية
العربية» ، حيث روج لنظرية خطيرة كانت بعيدة الاثر في حجب
مفهوم العربوبة الأصيلة المرتبطة بالاسلام .. فمسكراً وعقيدة ،
وبالعالم الاسلامى تكاماً وأخاء .. لقد كان دعامة حركة اليقظة
في البلاد العربية يرون أن الجامعة الاسلامية قاعدة بين العرب
وال المسلمين (فرسا وتركا) بعد زوال الدولة العثمانية .. ولكن
ساطع المصرى كان من أوائل الدعاة إلى فصل العرب من المسلمين

مفهوم القومية الفربى الواقف الذى طرحة فى أفق الفكر السياسى العربى .. وهذا يرجع إلى أن ساطع المصرى كان ثمرة من أنضج ثمار المدرسة الاتحادية التركية ، وأكبر الدعاة الذين نقلوا مفهوم القومية الطورانية التركية إلى أفق العروبة الذى كانت ترتبط بمفهوم الإسلام فى العلاقة بين الشعوب التى جمعها التوحيد والقرآن ونبوة محمد صلوات الله عليه وسلم ، والفكر الإسلامي الأصيل .. لقد كان ساطع المصرى مديرًا للتعليم فى الدولة الاتحدادية التى حكمت تركيا بعد إسقاط السلطان عبد الحميد بمفهوم المطانية والطورانية .. وقد تعلم فى مدرسة الاتحاديين ، وآمن بفلسفتهم ، وبنقل فكرهم ومفاهيمهم إلى العرب ، وذلك فى سبيل تعزيق الوحدة الإسلامية الجامحة عرباً وتركاً وفرساً ، وخلق أسلوب القوميات والأقلبيات الذى تقوم على اصراره والاستعلاء بالملبس والعنصر .. وهو أول من حل لواء الفنصرية والعرق والدم بدليلاً لمفهوم الإسلام الذى يقوم على الاخاء الانسانى وقد كان فلاسفة الفكر القومى التركى من الاتحاديين تلاميذ الفلسفه الوضعية متشبيهين بالبراعة الطورانية المدوائية ، وقد استمد ساطع المصرى مفهومه العروبة من مفهوم القومية الفربية ، والنظرية التى طبقها الاتحاديون فى تركيا وقد ركز على اللغة والتاريخ وعزماً عن أفكار الإسلامى الجامع

ككل ، كما رکز طه حسين على الأدب و وزنه عن وحدة الفكر الإسلامي .

ونظرية ساطع المصري التي روجت لها بعض الأحزاب
السياسية العربية قد أثبتت خلال أكثر من ثلاثين عاماً فشلها الذريع
وعجزها عن المطام .. لأنها فرغت مفهوم العروبة من قيمه
وتاريخه، وعناصره الأخلاقية والروحية وجماته، مفهوم ما يأخد الصالحة
.. وقد اعترف ساطع المصري بأن إسرائيل قومية تقوم على
الدين ورفض اعتبار الإسلام مقوماً بوصفه ديناً .. ذلك أن
مفهوم ساطع المصري الإسلام ناقص، فهو يراه ديناً لا هوئياً
وليس ديناً ومنهج حياة، ونظام مجتمع على النحو الذي يؤمن
به دعاة العروبة الإسلامية .. لقد فهم الإسلام على أنه « دين
عبدادي » كما فهم الأوروبيون المسيحية، ولم يفرقوا بين الدين بعامة
والإسلام بخاصته ، ولم يفرقوا بين مصر والبيضاء والجذور الثقافية
التي يختلف فيها عن مفهوم القومية في أوروبا . وأقصد كان مفهوم
للعروبة فاما، فلم يصل إلى مفهوم العروبة المترابط مع الإسلام
هذا الترابط الجذري الذي لا سبيل للإفلات- كذاك عنه .

ويرى كثيرون من الباحثين أن ساطع المهرى لم يعايش النماذج

العرب قبل أن يضم بمحوقة أرائه، وأنه استشهدى بمناخ البقان والمنظريه الألمانيه في حركته القومية التي رغم فهمها شمار اللقبة في مواجهة الدولة العثمانيه للتحرر منها، وأنه كان حاقداً على العثمانيين وقد المحايل الماسونيه التي احتضنت الاتحاديين ووجه لهم وجهتها ودفعتهم إلى الدعوه إلى الذئب الأغبر كرمزاً لها بدلاً من القرآن . وقد كان أكبر أساندته في مفهوم القوميات « ما كسر موله »، ونوردوا ، وهما فيلسوFan يموديان قدماً من وراء نظرية اللغة إلى إحياء القومية اليهودية . وقد اعتبر ساطع المهرى للغة أساس القومية ، وعارض نظرية الأرض التي دعا إليها أنطون سعادة دون أن ينتبه إلى أن المذكر لا اللغة هو مصدر الوحدة .

وقد أجري ساطح المصري الجدل حول عديد من النظريات الأوروبية في القومية دون أن يواجه جوهر المفهوم العربي : الإسلامي المصدر والهدف ، هذه الجذور التي تجعل من العصر فصل اللغة عن الفكر واعتبارها مقوما منفصل ، أو الاعتداد على نظرية بقاء اللغة أو ضياع اللغة ، مع أن الأسان هو بقاء المقادير والفكر الذي يحتمي وجود الأمة الحقيقي ، والواقع أن ساطح المصري كان غرب الفكر أساساً ، بل وغرب الذوق أعمى النطاق ، وأن تركيبة الثقافي والاجتماعي كان يحول بينه وبين تبني نظرية

عروبية أصلية مستمدۃ من واقع الأمة العربية وكيانها ، وذاتيتها
وقيمها التي لا تفصل فيها اللغة والتاريخ عن الفكر نفسه ، وفي
ذلك مغالطة أو جهل . ذلك أن اللغة العربية ليست لغة أمة فحسب
ولكنها في نفس الوقت لغة فكر وعقيدة فإذا كان العرب وهم
مائة مليون يتحدثون بها فإنها لغة العقيدة والفكر لآلاف مليون
من المسلمين عرب بطين بالقرآن الكريم ، والسنة النبوية ، وذلك
التراث الضخم من الفقه والعلم والتاريخ . وأن اللغة لا تفصل
عن الفكر وأن تاريخ العرب لا ينفصل عن تاريخ الإسلام ،
ومرجع ذلك إلى أن ساطع الحصرى أنشأ — كما ذكرنا — في
بيئة الانحداريين الآتراك الذين كانوا صناع الفكر التلودى ، والذين
لدوا في أحضان المنظمات الماسونية ، وحلوا لواء الإيهان بالفصل
من الدين والمجتمع ، وفهموا الإسلام فيما غريباً على أنه دين
لا هوئي ، وعلى هذا الفهم المأثم . الفاقد قامت نظرية ساطع
الحصرى التي لمعت سنوات تحت ظائر الخدام والأهواه ، حتى
أن بعض دعاة الماسونية في العالم العربي راح يفسر عن طريقها
تاريخ الإسلام كله ، فيرى أنه تاريخ قوى عنصرى هوى ، ومن
ثم وجه عبارات الحقد والخصومة إلى الأمم الإسلامية ، وهذا
هو الثرة الحقيقية التي كانت تهدف إليها حركة الفوز والتفاني

والتعريفي من طرح هذه النظاريه القوميه ، الإقليميه الضيئه
المدرانيه الوافده ، بدلا عن المفهوم الأصيل للعروبة في إطار
الإسلام كما كان يفهمه شكيوب أرسلان ورشيد رضا ومحب الدين
الخطيب وحمن البناء ومصطفى السباعي ومحمد ابرارك .

هذه النظاريه المضطربة التي خدم بها ساطع الحصرى السكتين
والي سائرها كثير من المثقفين قبل أن يعرفوا مهوا العقيقه ..
فلما عرقوها هاجوها وكشفوا زيفها ، والنظاريه مضطربه من
أساسها ، ولو كان ساطع الحصرى حسن النية لصحح موقفه من
فهم الدين فهم غربيا لاتسيبا وفهم الإسلام بمناه الجامع بين
المقيده ونظام المجتمع . لقد اعتمد أساس نظرية مفهوم الدين
اللاموق بفهمه أوربا والغرب للدين ، ولذلك عجزت النظاريه
أن تنجح في إطار الفكر الإسلامي ، بل أن كل العناصر التي عاشرها
كانت هنا صرطبيه الغربيه في مواجهه الصدع بين الجامعه المسجعيه
الأوربيه وبين القوميات الأقلية والتي كانت وراءها اليهوديه
الصهيونيه لتهزيق هذه الوحدة والسيطرة على كل قطر على حدة ،
وهو نفس ما أرادته بالنسبة للجامعة الإسلامية لنركيزه التي وقفت
أمام دخول الصهيونيين إلى فلسطين ، ووقفهم من الاسلطان
عبد الحميد واضح معروف .

لأن كل التحدبات التي تعلمتها نظرية القومية الوراثة لا تتوارد
أساساً في المناخ الإسلامي ، هذا فضلاً عن اختلاف مفهوم
(العروبة) عن مفهوم القومية في الغرب فضلاً عن اختلاف
مفهوم الإسلام عن مفهوم الدين بصفة عامة .

ومصدر خطأ ساطع الحصري أنه عجز عن فهم أبعاد الفكر
الإسلامي وأعماقه ، وعلاقة العرب بالاسلام ، وعاش في مؤلفاته
خدمات نظرية القومية الوراثة التي قدمها النفوذ الأجنبي
من بين ما قدم ليجعل الوحدة العربية الإسلامية الجامحة بعد
أن عجز عن فرض الأقلامات القائمة على الآثارين القديم كالغريونية
والفينيقية والأشورية والبابلية . ولما رأى هذه المحاولات تتهاوى
ورأى أن العرب يتوجهون إلى الوحدة أراد أن يفرغ هذه الوحدة
من مضمونها المفائد المترادف بين الروح والمادة ، والعقل
والقلب ، والدنيا والآخرة إلى مفهوم إله مصادق مادي صرف
وبذلك فشلت نظرية القومية الوراثة كافتتحت مناجم التعليم الغربي
والفانون الوضعي ، وأسلوب التوظيفات السياسية المبرالية وغيرها .

ولقد وقف ساطع الحصري في ورثة موقف المحمودة
والحق والتصب على الإسلام كلما عرض له ، وقد تماهله طويلاً

في أبحاثه كان العرب لم يعروفوا خلال تأريخهم الطويل ، وكانت محاولاً له للفصل بين اللغة العربية والفكر الإسلامي من ناحية ، وبين تاريخ العرب وتاريخ الإسلام محاولات ساذجة . ثم كشف نفسه وأسقط مكانته كاملة حين اعترف بالفوضى البدوية القاتمة على الدين ، بينما عارض عنصر الدين في فهم القومية العربية وإن كانت كلية (دين) لا تؤدي مني الإسلام حين يكون البحث حول العروبة .

وقد ثبت أن ساطع المصري قد خدم بدعوه وفكره مفاهيم الماسونية والظريفة القومية أو افاده التي كان النفوذ الغربي حريصاً على تلقيتها للعالم العربي ، وهي ليست إلا صورة من مفهوم الأقليمية اللبناني ، ولالمعروف أن ساطع المصري كان من أعداء وزارة المعارف في تركيا منذ أوائل حكم الاتحاديين في تركيا العثمانية إلى أن انتهت الحرب الأولى ، وأنه كان من أخطر الموجهين للبرامج التربوية والتعليمية في العراق ، حيث عد إلى فصلها عن الإسلام تصلاً تاماً ، وكان دورهأشبه بدور الدكتور طه حسين في التعليم المصري .

لقد حاول ساطع المصري أن يقيم (فكر أوروبياً إقليمياً) منه صلا عن الإسلام في روحه ومضمونه وشرعيته .. ولقد

تُهَامِلْ أَعْمَاقَ الْأَيْرِ الَّذِي تَرَكَ الْإِسْلَامَ فِي الْفَسْكَرِ وَالنَّقَافَةِ ، وَالْأَنْجَةِ
وَالْأَنْتَارِيَّةِ ، وَتُهَامِلْ أَثْرَ الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ فِي الْأَنْجَةِ الْمَعْرِبِيَّةِ وَفِي الْأَرْبَابِ
وَمَدِيَ تَرَابِطِ ذَلِكَ إِلَى أَكْثَرِ مِنْ ثَلَاثَةِ آلَافِ سَنَةٍ بِالْأَمَمِ الْمُوْسَطِيِّ
الْحَنِيفِيَّةِ السَّمَاءِ الَّتِي جَاءَ بِهَا إِبْرَاهِيمُ عَلَيْهِ السَّلَامُ فَرَبِّطَتْ هَذَا
الْعَالَمُ الْوَسْطُ (عَالَمُ الْأَرْبَابِ وَالْإِسْلَامِ) بِرَوَابِطِ تَارِيَخِيَّةِ وَنَقَافِيَّةِ
عَيْنِيَّةِ دُعَّةِهَا الْأَدِيَانِ الْمَهَارِيَّةِ الَّتِي نَوَّلَتْ فِي أَرْضِ الرَّافِدَيْنَ ،
وَخَقَّتْهَا رِسَالَةُ الْإِسْلَامِ الْعَالَمِيَّةِ الَّتِي نَزَّلَتْ فِي الْجَزِيرَةِ الْمَعْرِبِيَّةِ .
لِلْعَالَمِينَ كَاهَةً .

رَقْمُ الْإِيْدَاعِ ١٩٨٠ / ٢٢٤٧

مَطْبَعَةُ دَارِ الْبَيَانِ - بَعَابِدِينَ

١٨ شتنبر ٢٠١٩
شتنبر ٢٠١٩

دار المؤذن خصبار

أبو الفوزان

- تعليق وافية حماة منـتـ التـفـاـيـدـ المـامـةـ الـقـلـىـ تـلـبـ
- بيان دعـةـ الـمـدـحـ خـواـزاـ :
- ١- أـنـ مـلـيـرـ صـلـمـ عـلـىـ أـنـرـ التـرـوـيـ لـلـسـنـ عـزـ الـجـوـيـ
 - ٢- الـسـعـدـ وـلـلـسـعـدـ
 - ٣- الـمـهـمـونـةـ وـلـلـسـعـدـ
 - ٤- الـغـافـقـ قـبـلـ مـضـرـوـمـ الـوـلـدـ
 - ٥- اـسـتـأـنـقـقـ مـضـرـوـمـ الـوـلـدـ
 - ٦- فـسـادـ نـظـامـ الـعـيـاـ قـبـلـ الـوـلـدـ
 - ٧- الـدـرـةـ لـخـطـبـهـ بـعـدـ تـلـيـعـ عـلـاـهـ ذـلـكـهـ.
 - ٨- بـعـدـ الـوـلـدـ قـبـلـ كـلـيـاـ الـدـرـبـ الـدـيـثـ
 - ٩- الـأـنـوـيـاتـ قـبـلـ تـأـنـجـ الـدـرـبـ الـدـيـثـ
 - ١٠- الـتـبـيـةـ الـدـارـةـ قـبـلـ الـوـلـدـ الـفـقـيـهـ الـلـعـامـ

على طريق الأصالة والسمارة



- دار الأندية
- بعد أن نجحت الجماعة الأولى
- تقديم المجتمع، الثاني منـنـ الـأـنـوـيـاتـ
- دـرـىـ تـلـيـعـ الـفـيـدـ الـأـنـوـيـاتـ الـأـنـوـيـاتـ
- ١- الدـعـوةـ الـإـسـلـامـيـةـ قـبـلـ الـفـيـدـ الـأـنـوـيـاتـ
 - ٢- بـعـدـ الـوـلـدـ الـأـنـوـيـاتـ
 - ٣- مـلـفـاتـ عـلـىـ الـعـيـاـ وـقـصـيـةـ الـرـيـاعـاتـ
 - ٤- مـرـكـبـ الـتـبـيـةـ الـأـنـوـيـاتـ قـبـلـ الـوـلـدـ الـأـنـوـيـاتـ
 - ٥- مـنـهـجـ الـكـوـيـةـ الـأـنـوـيـاتـ
 - ٦- الـتـبـيـةـ الـفـيـدـ الـأـنـوـيـاتـ
 - ٧- الـمـهـمـونـةـ الـأـنـوـيـاتـ
 - ٨- الـأـنـوـيـاتـ الـأـنـوـيـاتـ (وـجـهـهـ جـدـيدـ الـدـائـسـيـةـ)
 - ٩- صـارـادـ الـمـسـلـمـ شـرـقـ مـجـدـيـهـ الـأـنـوـيـاتـ

أـنـوـيـنـيـ

دار المؤذن خصبار

١٨ شتنبر ٢٠١٩
شتنبر ٢٠١٩